جـــريز يلدا

للقصصي الايطالي بوكاشيو

بقلم الأستاذ فخري شهاب السعيدي

كانت عداوة المركيز جواليترى الشاب أمير مقاطعة سالوزو للنساء سافرة ، يجاهر بها هو ، ويعرفها هن ، لأنه ما كان مؤمناً يوماً بوجود امرأة وفية برة تصدق العهد وترعى الذمة والميثاق ! !

وكان ذلك سبب ابتعاده عنهن وانصرافه إلى ضروب من اللهو بين وحوش الفلا وأزاهير الربى في عيش رقيق الحواشي ندى الظل ، وغبطة تتسرى في جوانحه وتشيع في محياه

وإذا كان هذا رأيه هو ، فلم يكن هذا رأى شعبه ، لأن الشعب لم يكن مجمعاً على خيانة المرأة ، ولأن الشعب يريد من يتولى الأمر بعد حاكمه ... هذا إذا جرى قضاء الله عليه فدرج فات !

لذلك هب أبناء شعبه يطالبونه بالزواج في إلحاح عليه شديد !

وتقدم إليه فريق من وجوه القوم بأسماء الحسان من بنات الأشراف ليقبل كلته في إحداهن ، وألحفوا عليه في ذلك ، فكان جوابه :

— إنه وحده صاحب الحق فيمن يختارها زوجاً لنفسه ، وأما لولى عهده ، وإذا كان للشعب أن يطالب حاكمه بولى من بعده ، فليس له أن يتحكم في التي يختارها لهذا الخلف أما !

... ثم اتفق معهم على أن يكون أمر اختيار زوجه له ، لاحق لأحد أن يعارضه أو يناقشه فيه ، وهكذا كان :

فإن المركيز الخارج من قصره إلى قرية قريبة منه يختال على جواده ، إذ يبصر بفروية من بنات الرعاة تحمل الماء من بئر قريبة إلى دارها في وداعة أخاذة استوقفته قليلا ، ثم اقترب منها يسألها من عساها تكون ؟ !

— اسمى جريز يلدا يا سيدى !.

ووقف المركيز الشاب أمام جريز يلدا هذه دهشاً قد علق قلبه ، وذهل لبه ، واشتغل خاطره ، وأراد أن يكاشفها بدخيلة أمره ، وأنه يرغب في أن تكون زوجه ، ولكنه ما استطاع ثم حمل نفسه على أن يصارحها برغبته فقال :

— إنني يا جريز يلدا أبحث عن زوجة برة مخلصة لينة القادة ، قريبة الارتياد ، خلقها دمث ، وطاعتي عليها فرض تتقبله في سرور أفأجد فيك التي أنشد ؟ !

— يا سيدى ، أرجو أن تكون قد وفقت إلى اختيار من تريد !

ثم تم الزواج — كما أراد المركيز أن يكون — في فخامة وبهاء ، وجاءت الفتاة القروية إلى قصر الأمير لتبتدئ حياة أرستقراطية غريبة عنها وعن قريتها التي أسلمتها إلى هذا القصر المنيف ...

* * *

كانت الفتاة وفية حقاً للمركيز : تتحرى رضاه فتعمل به ، وتتوخى هواه فتقصد إليه ، وتقضى حق النعمة عليها بشكر أياديه وفضله ...

وكانت برة به كما أراد ، مخلصة له كأفضل ما تمنى ... تعمل على إسعاده ، ولو كان في ذلك شقاؤها ، وتتمنى له الخير ، ولو كان فيه أذاها ... !

وكانت قد وهبته قلبها : فهى أبداً حريصة على رضاه حريصة على إسعاده ، حريصة على أن يكون زوجها أسعد الناس حياة ... !

وكان شعب « سالوزو » يبصر هذا من الفتاة الكريمة فيعجب بما يرى ، ويغتبط بما يجد أميره من إكرام وحب ووفاء من بنت القرية « جريز يلدا » ... وقد كان هذا الإعجاب الشديد سبب حب الفتاة في قلوب أهل « سالوزو » أجمعين !

وما لبثت جريز يلدا أن وضعت بنتاً ...

فرق الخبر إلى شعب سالوزو ، وابتهج الشعب لهذا وفرح ؛ وأعلن عما فى نفسه من أسباب الفرح والحبور بالاحتفالات يقيمها ، والمآدب يولمها ، والتهانى يرفعها إلى أميره ...

ولكن الأمير لم يُثلج بالأمر صدره غبطة ـ كما توقع الشعب ذلك منه ـ بل كان فى نفسه ما يحز فيها حزاً من سوء الظن الأثيم ! ... فإن الرجل قد خيل إليه أن من وراء هذا الذى تبديه له زوجه من الحب والوفاء ـ خيانة مستترة ـ لا يعلمها هو ، ولكن وجدانه ينبئه ... ولا يعرف عنها شيئاً ، ولكن حسه يوقظه ... وتتعاظم هذه الخواطر فى نفسه فتطغى على كل شعور ... وإذا ما كان فى نفسه عن المرأة قد عاد إليه ... وهل تكون « جريز يلدا » هذه إلا امرأة ؟ !

وإذاً فليتغلغل إلى دخيلة نفسها ليعرف الحق ، وليمتحنها ليطّلع على ما عند المرأة من خيانة وفجور ...

... وأرسل إليها يطلب منها ابنتها معلناً أن شعبه لا يرضى أن تكون ولية العهد بنتاً من أم وضيعة الأصل ، حقيرة البيت ، من أهل القرى ...

وفهمت هذا الذى كان يدور بخلده ـ وما كان ذلك ليخفى عليها ـ وأدركت أنها مفارقة ابنتها البريئة ، ثمرة إخلاصها ووفائها وتفانيها فى الحب لمولاها وزوجها المركيز ـ فراقاً لا تعلم مداه ... بل قد لا يكون له مدى يقدر ، أو نهاية تعرف !

... وألم بالمسكينة الجزع فى شكل الثكل ، ولكنها غموم الوالدة تفقد وحيدها ، فاشتملت عليها ، وتشعبتها آلام الفجيعة فى شكل مريع ... ولما رأت أن الأمر قد تعقد وأعضل ، ودعت ابنتها فى لوعة مريرة ويأس ... ثم تقدمت بها إلى الرسول .

* * *

ومضت بعد ذلك أعوام طوال كانت « جريز يلدا » مع زوجها على سيرتها الأولى : من طاعة وحب ووفاء ... وصبر على ما تلقاه منه من مكروه ! ثم قدر الله فوضعت ولداً ...

وكان لهذا الوضع أثره فى نفسها المحزونة ، فقد أملت منه خيراً يأتيها به أبوه ... وقالت فى نفسها : إن الشفاعة من ولى العهد ولا شك ، وكيف تشك وها قد وضعت ذكراً ينوب فى حكم الشعب مناب أبيه ؟ وكيف تشك وهذه أمنية المركيز التى يطلب ، ومرباده الذى يبتغى ـ هو ومن ورائه شعب « سالوزو » الكريم ؟ !

ولم يدعها المركيز « جو التيرى » تحلم ... وتبتعد فى حلمها عن الواقع المقدر لها ولابنها هذا ... فقد بعث يطلبه كما بعث من قبل يطلب أخته !

وتكرر فصل « المأساة » ولكن فى مظهر أروع ، وأعيد الحزن إلى قلب المسكينة ولكن فى شكل أقسى ؛ وقدمت المسكينة طفلها هذا كما قدمت أخته من قبل إلى الرسول !

وإذا كان جرو السبع لا ينفعه رضاع الشاة ... فإذا كان النبت لا يُقوّم اعوجاجه حين يشتد عوده ويستأسد ، فإن المركيز لم يكن ينفعه تفانى المرأة فى إخلاصها وإظهار طاعتها له ... والطباع إذا كان فيها عوج متأصل ، لا تقيمها كل أنواع المقومات !

... وكذلك صبرت « جريز يلدا » على الخسف بنتة عشر عاماً طوالا ، كانت خلالها مثال العفة فى الخدمة ، والشرف فى أداء حقوق الزوج ، صابرة على ما تلقاه من هذا الذى يدعوه زوجها ، وليس فى قلبه من معانى الزوجية التى تعتمد على الشرف والإخلاص شىء !

وعلى أن الحزن المحض لا يقوى على احتماله بشر له قلب وشعور ، فإن « جريز يلدا » كانت تحتمل ما تلقاه فى جلد واحتمال عجيب ، كأن ما تراه من عقوق ، هو عين الحق الذى يجب أن تُعامَل به الوفيات أمثالها ...

ولكن زوجها المركيز لم يرضه هذا ... بل عمد إلى طردها من قصره إلى حيث كانت فى كوخها الريفى الحقير ...

وخرجت « جريز يلدا » فى أطمار بالية من القصر كما دخلته من قبل ؛ ورجعت إلى كوخها وليس معها من آثار النعمة التى كانت فيها غير ... أسوأ الذكريات ! وغير ما فى قلبها المكلوم من حزوز ...

ولكنها لا تكاد تستقر فى ريفها حتى يأتيها رسول « المركيز » يأمرها بالرجوع إليه .

لتُسعِدَ قصره الذى برحته لزواج جديد !! من حسناء من بنات الأشراف ...

ونزل عليها الخبر كالمصيبة تنال المرء بعد كثير من أمثالها ؛ لا تكاد تستقر واحدة حتى تتلوها الأخرى أشد إيلاماً وأفجع !

... ورجعت إلى القصر وإن قلبها لجازع من هذا الذى يرى؛ ولكن ستاراً من الابتسامات العذاب كان يتسدل على ذلك القلب الكسير فيخفى ما به من آثار اللوعة والشقاء ...

وتمّ إعداد القصر للزواج الجديد ...

وتمت دعوة الأشراف والنبلاء إليه فى ليلة الزفاف ...

فكان القصر ليلتئذ بحسناواته ومظاهر المسرة فيه جذوة من اللهب تتقد فى قلب جريز يلدا التى كانت تتغشى طمراً أبلاه الدهر وأخلقه ... قابعة فى زاوية من زوايا القصر ، خانسة ، فكأنها فى ذلك القصر المائج بالنيد الفاتنات تمثال البؤس الذى يتحاشى المترفون النظر إليه ... أن يشقيهم أو يكدر صفو حياتهم التى يحيون !!

* * *

ورفعت «جريز يلدا» عينيها إلى العروسين الداخلين فحارت مما رأت ... لقد كانت ، فى يوم من الأيام ، كهذه الحسناء التى تتيه بجمالها للفتان وتزهى ... لقد كانت يوماً قبلة الأعين تستجلى جمال وجهها الباهر السنى فى إعجاب شديد !

... وجاء « المركيز » إلى زوجه القديمة البائسة يتأملها رأيها - على ملأ من الحاضرين - فى عروسه الحسناء ؟ ! فأجابت :

إن فى منظرها - يا سيدى - لحسناً ... وأرجو أن يكون لها مثل ذلك فى خبرها عند الامتحان ... ثم توسلت إليه أن يكون منصفاً لهذه الفتاة يعاملها فى رفق وإحسان ... وأردفت ذلك بجمل الدعاء والتوفيق لها ... ولطها ساعتئذ كانت أصدق ما تكون ...

قال المركيز :

— « ولكن اغتفرى لى يا « جريز يلدا » هذا الذى رأيته منى من جور وكفران ... لم أكن معك بافتانى من المنصفين ... لقد كنت أتهم وفاءك ، خائفاً أن تكون وراءه خيانة أو ريبة ... ولكنك الآن أمامى عجلوة مثل كرائم الأحجار ...

« دعينى — يازوجى البرة — أقدم إليك هذه التى تحسبينها عروسى كما يحسبها غيرك من الحاضرين - على أنها ... ابنتك التى انتزعتها منك منذ أمد بعيد ... وهذا يا جريز يلدا المحبوبة ولدنا العزيز الذى أرسلت إليك فى طلبه كما أرسلت من قبل على أخته ... ضميهما إليك ... إلى صدرك ... لتقرى بذلك عيناً ولتكونى من الفرحات الناعمات ... لقد حُرِمتهما حيناً من الدهر طويلا ... فانعمى بعد ذاك الحرمان الطويل ... أقبلى عليهما التمسى العزاء عندهما عما مضى وكونى - كما عهدتك - تصفحين عن الإساءة وتتقلبين منى كل شىء بالصدر الرحب ، والغفران »

(بغداد) فتحى شهاب السعيرى

إدارة البلديات — طرح

تقبل العطاءات بإدارة البلديات بوستة قصر الدوبارة حتى ظهر يوم ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ عن عملية الرصف بالسويس وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٤ جنيه للنسخة الواحدة عدا أجرة البريد ٦٠ مليما .

٣٩٦٦

افتتاح الموسم الجديد — سينما ستوديو مصر

حالياً

ستوديو مصر يقدم

منيرة راتب — أنور وجدي — في قضية الشباب

الحياة كفاح

مع

سليمان نجيب — علوية جميل — زكي رستم

إخراج كمال مدكور

زوروا متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

تشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان

ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل

فى مصر والخـــــارج

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الإثنين والعطلات الرسمية كما يأتى :-

فصل الصيف من أول مايو إلى آخر اكتوبر

من الساعة ٨ ٠٠ إلى الساعة ١٣ ٣٠

خلال شهر رمضان { صيفا : من ٢٠ ٠٠ إلى ١٣ ٣٠

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم ٤١٩٦٤

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)